صورة التدين الوسط في القرآن الكريم: دراسة وصفية

Image of Moderate Religiosity in the Qur'an: A Descriptive Study

Imej Keagamaan Moderat dalam al-Quran: Satu Kajian Deskriptif

مصدق مجيد خان*، إسرار أحمد خان**

الملخّص

تعنى هذه الدراسة ببيان معنى التدين الوسط بالاعتماد على آي الذكر الحكيم التي اهتمت بوضع صورة غاية في الوضوح لمفهوم التدين الوسط الذي لا مغارة فيه ولا تفريط. فالوسطية من نعم الله تعالى التي أنعم بها على الأمة الإسلامية والتي شرفهم بها هي أن الله تعالى جعلها أمة وسطًا، خيارًا وعدولًا، وأخرجها للناس، وقد شهد لها القرآن الكريم بذلك. ولكن بعد القرون المشهودة بالخير ظهر التفرق والاختلاف، فخرجت بعض الفرق ببدعها، وظهرت بغلوها وفتنها، ثم تواصل ظهور البدع، وتوارثت الأجيال كثيرًا من الانحرافات العقدية والعملية، وابتعدت عن منهج الاعتدال والتوسط الذي رسمه القرآن الكريم. وقد وظّف الباحث المنهج الوصفي لمعرفة منهجية القرآن في التدين، ببيان معنى الوسطية في القرآن في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقضاء والقدر كما أنه تعرض لذكر نماذج من التدين المنحرف في القرآن الكريم سواء اكان بسبب المغالاة أم التفريط حتى نكون على بيّنة من التدين الوسط.

* الباحث المساعد، قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

** الأستاذ الكامل بـــقسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، التدين، الوسط، النواميس العقدية، القواعد العملية.

Abstract

This study is concerned with the meaning of moderate religiosity based on the verses of the Holy Qur'an, which focus on the development of a very clear concept of moderate religiosity without any obscurity and confusion. Moderation is one of the favors of Allah which He bestowed upon the Muslims and honored them as He made them the best, just, moderate nation as mentioned in the Qur'an. But after many graceful centuries, dispersions and differences appeared as many sects emerged with innovations, exaggerations, and tempting incitements. The emergence of innovations continued and hence generations of people inherited a lot of cardinal and practical deviations and thus moved away from the moderate approach as charted by the Qur'an. The researchers used descriptive method to study the Qur'anic approach regarding religiosity by explaining the meaning of the moderation in the Qur'an regarding the faith in Allah, His angels, His books, His Messengers, the Last Day, and fate and destiny . In addition to that the researchers mentioned some examples of deviant religiosity as recorded in the Qur'an whether it is because of exaggeration or excessiveness so as to be clear about moderate religiosity.

Keywords: The Qur'an, Religiosity, Middle, Cardinal Beliefs, Practical Rules.

Abstrak

Kajian ini berkenaan dengan pengertian keagamaan moderat berdasarkan ayat-ayat suci al-Quran, yang menumpu kepada pembangunan satu konsep kesederhanaan keagamaan yang jelas dan tanpa sebarang kekaburan dan kekeliruan. Kesederhanaan adalah salah satu nikmat Allah yang dikurniakan-Nya kepada umat Islam dan memuliakan mereka dan menjadikannya bangsa yang terbaik, adil dan moderat seperti yang dinyatakan dalam Al-Quran. Tetapi selepas beberapa abad terunggun, penyebaran dan perbezaan dalam pemahaman agama muncul disebabkan banyak mazhab muncul bersama dengan inovasi, menokok tambah dan hasutan yang menggodakan. Kemunculan inovasi yang berterusan dan menyebabkan orang mewarisi banyak penyelewengan kardinal dan praktikal dan oleh itu beralih daripada kaedah yang sederhana seperti yang dicatatkan dalam al-Quran.Para penyelidik menggunakan kaedah deskriptif untuk mengkaji kaedah al-Quran mengenai keagamaan dengan menerangkan tentang maksud kesederhanaan dalam al-Quran berkenaan kepercayaan kepada Allah, malaikat-malaikat-Nya, kitab-kitab-Nya, Rasul-rasul-Nya, hari akhirat, dan takdir. Selain itu, para penyelidik menyatakan beberapa contoh keagamaan yang sesat seperti yang dicatatkan dalam al-Qur'an sama ada ia adalah kerana keterlaluan atau berlebih-lebihan supaya jelas tentang kesederhanaan keagamaan.

Kata Kunci: al-Qur'an, Keagamaan, Tengah, Kepercayaan Kardinal, Peraturan Praktikal.

المقدمة

النزعة إلى التدين والميل إليه ملازم للإنسان، والتدين نزعة فطرية، ولا يمكن تصور إنسان بدونها، مهما كانت صورة ذلك التدين، والواقع البشري شاهد على أنّ الإنسان حيثما كان وفي أية ظروف وعلى اختلاف أحواله وتباين أحواله، لا يخلو من عقيدة أبدًا سواء كانت تلك العقيدة حقًا أم باطلًا، صحيحة أم فاسدة. وأكدت الدراسات العلمية بأنها وجدت في التاريخ مدن بلا حصون وبلا قصور وبلا سدود ولا قناطر ولكن لم توجد مدن بلا معابد[1]. والحقيقة أن هذه النزعة؛ نزعة التدين توجد في غريزة الإنسان منذ خلقه الله ﷻ، وليس هناك أي دليل بأنها تأخرت عن نشأة الإنسان، وقد أقر بذلك كثير من المفكرين وفلاسفة المادة، بأن التدين نزوع فُطر عليه الإنسان، وسيبقي معه إلى نهاية المطاف. يقول محمد عبد الله درّاز: "كما أنا لا نجد أمارة واحدة تدل على قرب زوال النزعة الاستقرائية، أو النزعة التعليلية، كذلك لا نرى أمارة واحدة تشير إلى أن فكرة التدين ستزول عن الأرض قبل أن يزول الإنسان"[2]. فـــ"الإنسان لا يقف، ولا يمكن أن يقف وحيدًا في العالم. فهو يشعر في قرارة نفسه أنه ليس المركز المتوحد، للقوة المستقلة القادرة، على الصمود والوقوف، أن هذا الشعور لا يفلت منه أعتى العتاة، ولا أطغى الطغاة، ولا أسمى المحتلين لمراكز الجاه والسلطان، مهما بدا هذا الإنسان، في مثل هذا الجاه والسلطان الذي يشكل ستارًا رقيقًا سرعان ما تهتكه الخلوة أو الانفراد"[3] . وهذا الشعور يدل على أن

---

[1] انظر: أبو بكر الجزائري، **عقيدة المؤمن**، (السعودية: مكتبة العلوم والحكم، د.ط، د.ت)، ص18.

[2] محمد عبد الله درّاز، **الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، (كويت: دار القلم، د.ط، د.ت). ص87.

[3] محمد كمال جعفر، **الإنسان والأديان**، (دوحة: دار الثقافة، د.ط، 1985م) ص23.

الإنسان مهما كان عنده من قدرة فهو لا يستغني عن قوة خارجية يلجأ إليها، ويدور حولها تصورًا وفكرًا، ثم نزوعًا وميلًا، ثم فعلًا وسلوكًا.

كذلك يوجد في طبيعة الإنسان استعداد فطري للتدين وهذه الفطرة متأصلة في الإنسان، وموجودة منذ الأزل في أعماق روحه[4]، ولذا يشعر بضعفه، وحاجته إلى المعونة والرعاية والمحافظة، فيطلب هذا ممن هو يراه أنه أقوى منه، ومن هنا يعلم أن التدين أمر لا بد منه، وعاطفة التدين، أو الاعتقاد بدين من الأديان أمر غريزي ومشترك بين الناس عامة في كل زمان ومكان، وهو قديم قدم البشرية. فما من جماعة إنسانية كانت تعيش في أي زمان إلا كانت تتدين بدين تتجه إليه، رهبة أو رغبة، فهو يلازم كل إنسان من أول عهد البشرية حتي العصر الراهن[5].

أما المغالاة والتفريط فهي من الأمور التي لا سبيل لإنكارها، فهي من الحقائق الواقعية، لذا اهتم كثير من العلماء وكتّاب المسلمين بأمر المغالاة والتفريط في التدين، وبيان مظاهره وأسبابه. فهذا البحث سيتحدث عن صورة التدين الوسط في القرآن الكريم.

الوسط لغةً

تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى العدل والنصف، والنقطة التي تتوسط بين الطرفين وانتهاءين. يقول ابن الفارس: "الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف. وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه. قال الله عز

---

[4] سامي عفيفي حجازي، **العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام**، (القاهرة: كلية الدين، د.ط، 1982م)ص53.

[5] محمد يوسف موسى، **الإسلام والحياة**، (بيروت: عصر حديث، ط2، 1991م) ص9-12؛ وانظر كتابه: **الإسلام وحاجة الإنسان إليه**،(القاهرة: المجلي الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، 1995م)، ص7-11؛ وراجع: أحمد السايح، **علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة**، (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ط. 1990م)، ص18.

وجل: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:143]"[6]. وتضبط هذه الكلمة على وجهين؛ أولهما "وسْط" بسكون السين، فهو ظرف لا اسم جاء على وزن نظيره في المعنى وهو بين، تقول: جلست وسط القوم أي بينهم[7]. وثانيهما "وسَطُ" بالتحريك.

وقد تأتي لمعاني متعددة متقاربة:

أ: اسم ما بين طرفي الشيء يقال: قبضْت وسَط الحبْل وكسرْتُ وسَط الرمْح وجلسْتُ وسَط الدارِ، ومنه المثل: "يَرْتَعِي وسَطاً ويَرْبِضُ حَجْرةً" أي يرْتعي أوْسط المرْعى وخياره ما دام القومُ فِي خيْرٍ، فإِذا أَصابهم شر اعتزلهم وربض حجرة أي ناحية منعزلا عنهم.

ب: صفة بمعنى الخيرة والجودة، يقال: أوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدّابة للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب[8].

ج: صفة بمعنى عدل يقال: وسط الشيء وأوسطه: أعدله، وفي القاموس: "الوسط، محركة، من كل شيء: أعدله"[9].

د: تأتي بمعنى: الشيء بين الجيد والردئ، يقال "شيء (وسط) أيضاً بين الجيد والردئ[10].

---

[6] انظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط.، 1979م)، ج6، ص108.

[7] انظر: محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، (القاهرة: دار المعارف، د.ط. د.ت.)، ج7، ص428.

[8] المصدر السابق: ج7، ص427-430.

[9] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م)، ج1، ص691.

[10] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م)، ج1، ص338.

وفي المصباح: الوسَط بالتحريك، المعتدل يقال شيء وسط أي بين الجيد والرديء وعبد وسط وأمة وسط وشيء أوسط وللمؤنث وسطى بمعناه[11].

والذي اتضح من خلال تصفح اللغات أنها كيفما تصرفت هذه الكلمة فهي لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرة.

الوسط في القرآن

تناول القرآن الكريم مادة "وسط" في خمسة مواضع بتصاريفها المختلفة، حيث وردت بلفظ: ﴿وَسَطًا﴾، و﴿الْوُسْطَى﴾، و﴿أَوْسَطِ﴾، و﴿أَوْسَطُهُمْ﴾، و﴿وَسَطْنَ﴾.

وسنبين معنى كل كلمة على وفق ورودها في كتاب الله الكريم.

أولًا: ﴿وَسَطًا﴾: وردت أولًا هذه الكلمة في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143]. المراد من (أُمَّةً وَسَطًا) في هذه الآية المباركة هو "أمة عدولًا" كما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143]، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143][12].

---

[11] أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط. د.ت)، ج2، ص658.

[12] أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، ج6، ص21، رقم: 4487.

﴿الوَسَطُ﴾: العَدْلُ، وبه أوله الطبري منسوبًا إلى بعض الصحابة والتابعين[13]، أما معنى ﴿الوَسَطُ﴾ في هذا الموضع، عنده: هو "الوسط" الذي بمعنى: الجزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل "وسَط الدار". وقد وصف الله تعالى هذه الأمة ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، ولا هُم أهلُ تقصير فيه، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها، وبسبب عدالة هذه الأمة وبحكمها بالقسط جعلها الله شهداء على الناس.

ثانيًا: ﴿الْوُسْطَى﴾: وردت هذه الكلمة في قوله تعالى:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:238]. وقد اختلف المفسرون في معنى المراد من هذه الكلمة في هذه الآية المباركة، فمنهم من أراد بها وصفًا من الوسط بمعنى الخيار والفضل، ومنهم من جعله وصفًا من الوسط الذي هو الواقع بين جانبين متساويين من العدد[14]. والكلمة تحتمل كلا المعنيين في هذه الآية المباركة. فيمكن أن يكون المراد من "الصَّلَاةِ الْوُسْطَى" الصلاة المتوسطة بين الصلاتين، أو الصلاة الفضلى. وقد ذكر هنا احتمالان آخران:

الأول: أن ذكر قوله تعالى: ﴿وَالصَّلاةِ الْوُسْطى﴾ بعد قوله ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ﴾ قد يكون إرشاداً، وأمراً بالمحافظة على أداء الصلاة أداء متوسطًا. لا طويلًا مملًّا ولا قصيرًا مخلّا. أي: والصلاة المتوسطة بين الطول والقصر. ويؤيده الأحاديث المروية عنه ﷺ في ذلك، قولاً وفعلاً. وأرى هذا الاحتمال أوفق من أن يثبت أي صلاة هي أفضل؟

---

[13] انظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م)، ج3، ص142-145.

[14] انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**،ج5، ص 168-236

والثاني: وهو أن يكون قوله وَالصَّلاةِ الْوُسْطى أريد به توصيف الصلاة المأمور بالمحافظة عليها بأنها فضلي، أي: ذات فضل عظيم عند الله. فالوسطى بمعنى الفضلى من قولهم للأفضل: الأوسط[15].

فالذي يظهر من الاحتمال الأول هو أنه استخدم هنا في معنى عدم المغالاة والتفريط في الصلاة؛ بحيث أمر الله تعالى المؤمنين بأداء الصلوات الخمسة أداء متوسطًا؛ لا طويلاً مملّاً ولا قصيرًا مخلّاً.

ثالثًا ورابعًا: ﴿أَوْسَط﴾: وردت هذه الكلمة بهذه الصيغة في آيتين، الآية الأولى هي:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة:89].

والآية الثانية هي: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم:28]. المراد من "أَوْسَطِ" في هذين الآيتين هو العدل[16]، وإن كان مدلولهما مختلفًا في كلا الموضوعين. فالمراد في الآية الأولى: من أعدل ما يطعم من أجناس الطعام، وفي الآية الثانية: أوسطهم أي أعدلهم.

خامسًا: ﴿وَسَطْنَ﴾: وردت هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات:5]. أما معناها فهو التوسط من المكان، أي: فتوسطن صفوف الأعداء، ودخلن وسطهم.

فهذه هي المواضع الخمسة التي وردت فيها هذه الكلمة والذي اتضح منها هو أن القرآن الكريم استخدمها في معنى العدل والتوسط وعدم المغالاة والتفريط. وقد

---

[15] انظر: ومحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلميه، ط1، 1418هـ)، ج2، ص166.

[16] انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج23، ص550.

تأتي لمعاني أخرى قريبة من هذه المعاني، ولكن المهم أنها مرادف للعدل الذي هو وضع الشيء في محله كما هو.

التدين الوسط في القرآن الكريم

قد تم تعريف الدّين بأنه "جملة النواميس النظرية أو العقائد التي تحدد صفات ذات بالحرمة ، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق العبادة لتلك الذات ذلًا، وحبًا ورغبةً".[17] التعريف إذن يشمل شيئين: الأول: النواميس العقدية، والثاني: القواعد العملية. فالذي أريدَ في هذا المبحث هو البحث عن الصورة الوسطي لهذه النواميس العقدية، والقواعد العملية.

التدين الوسط قي النواميس العقدية

تشمل هذه النواميس "الإيمان الجازم بوجود ذات الله تعالى، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والتسليم له في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع. وقد أخبر الله تعالى بها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، وبطريق وحيه، يقول الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]. وفي حديث جبرائيل المشهور الذي أخرجه البخاري: عن أبي هريرة، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً

---

[17] انظر: مصدق مجيد خان، **مفهومُ الدِّين ومَظاهِرُ التَّديُّن في القرآن الكريم، دراسة موضوعية تحليلية**، (رسالة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث –القرآن وعلومه– الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، غير منشورة)، 2014م، ص31.

للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ»[18].

وفي مسلم: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[19]. هذه النواميس العقدية تدور حول هذه القضايا المعينة التي أخبر بها الله تعالى ورسوله، وليس أن يعتقد كل ما شاء. والمطلوب في الدين التصديق بهذه النواميس تصديقًا جازمًا لا ريب فيه، فإن كان فيه ريب أو شك فهو إذن الظن وليست عقيدة، إذ العقيدة الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده[20].

والدليل على ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:15]، أي الإيمان مقبول إذالم يقع في القلب شك في الإيمان. وقوله تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:1-5]، أي فهؤلاء الذين صدقوا في حزم وإذعان بما غاب عنهم، واعتقدوا فيما وراء المحسوس، كالملائكة واليوم الآخر، وأدوا الصلاة، وأنفقوا مما يرزقهم الله في وجوه الخير والبر والذين صدقو بالقرآن وبما فيه من أحكام وأخبار، وعملوا بمقتضاه،

---

[18] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة ، ج1، ص19. رقم:50

[19] أخرجه مسلم في **صحيحه** في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم 9 و 10. وأخرجه عن عمر رض الله عنه في الباب نفسه رقم 8.

[20] انظر: عمر سليمان الأشقر، **العقيدة في الله**، (الأردن: دار النفائس، ط12، 1999م)، ص13.

وصدقوا بالكتب الإلهية التي نزلت كالتوراة والإنجيل وغيرهما، واعتقدوا اعتقاداً جازماً بها. وقال في ذم المرتابين: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:45]، أي يستأذن الذين لا يؤمنون إيماناً صادقاً بالله والحساب في اليوم الآخر، فإن قلوبهم دائماً في شك وريبة، فهم يتحيرون، ويترددون متشككين.

وهذه النواميس أمور غيبية وهي التي أرادها الله تعالى بقوله في مدح المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:5]، وقد يتبادر الذهن بنسبة الكتب والرسل بأنها ليست من الأمور الغيبية بل إنها من المشاهدات والتي تتناولها الأيدي، ولكن المراد هنا هو نسبتها، وهي كون الرسل مبعوثين من عند الله تعالى، وكون الكتب منزلة من عند الله تعالى، وهذا هو المراد بكونها من الأمور الغيبية.

وهذا هو الموضوع الأساسي في القرآن، ولا توجد صفحة فيه إلا وفيها الدعوة إلى الإيمان بالله، أو برسله، أو باليوم الآخر، أو بالملائكة، أو بالكتب الإلهية السابقة، أو بالقدر الذي سنه الله لسير هذا الكون، أو الرد على شبهات الكافرين، أو بيان الأقوال والأفعال التي تثبت الإيمان أو تنقضه، أو بيان ما يتعلق بعبادة الله وحده، بأساليب متنوعة، وضروب من البيان مختلفة. وهو لبّ القرآن، وليس من المبالغة أن يقال إنّ القرآن كلّه حديث عن القرآن، فإنه إما حديث مباشر عن الله، ذاته وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:255] وكقوله تعالى: ﴿ قُلْ

هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1-4] وإما حديث غير مباشر بالدعوة إلي عبادته، أو أمر بعبادته، أو إخبار عن أهل الإيمان وعمن أعرض عنه، ويوضح هذا أن ذكر الله قد تكرر في القرآن باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته (10062) مرة أي في الصفحة الواحدة قرابة عشرين مرة في المتوسط[21].

الإيمان بالله كذات

فقد تعرض له فالقرآن من ناحتين:

الأولى: وجود الله. القرآن يقرر أن الفطرة السليمة والنفوس السوّية تقر بوجود الله من غير دليل، وهو أمر فطري بديهي. يقول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:30]. وقد اعترف به كل من رجال الدين، وأقطاب العلم وزعماء السياسة، بحيث أي عمل لا يؤسس على بنيان من تقوى الله ورضوانه لا يبقى في العالم. وأثبت أنّ هذا هو الفطرة التي اضطرت الباحثين في تاريخ الأديان أن يقروا بأن الأمم جميعًا اتخذت معبودات تتجه إليها وتقدسها. وأقرت بوجود ذات-أو ذوات -غيبية-علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤن التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد[22]. الثانية: تعريف الله تعالى وذلك ببيان صفاته وببيان قدرته في مخلوقاته. وهذه الناحية هي التي يقع فيها مغالاة وتفريط، والطريق الوسط في

---

[21] انظر: الأشقر، **العقيدة في الله**، ص67.

[22] انظر: مصدق، **مفهومُ الدِّين ومَظاهِرُ التَّديُّن في القرآن الكريم، دراسة موضوعية تحليلية**، ص32-41.

وصف الله تعالى كما وصفه بدون زيادة أو تقصير. فقد وصف نفسه بصفات الكمال والجلال، ونزهها عن جميع النقص، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات، فيوصف بما وصف به نفسه من غير تعطيل ولا تمثيل، ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]. فالله مُبدع السموات والأرض، خلق لعباده من جنسهم أزواجاً ذكوراً وإناثاً، وخلق من الأنعام من جنسها أزواجاً، وليس كذاته شيء، فليس له شيء يزاوجه، وليس يشبهه ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في صفاته لأن صفاتِه صفات كمال وعظمة، ولا في أسمائه لأنها كلَّها حسنى، ولا في أفعاله؛ وأفعالَه تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير شريك.

قول الله عن ذاته

فالله تعالى له ذات، حي قيوم، يقول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:255]، هو أحد، صمد، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1-4]. فقد أثبت الله تعالى لنفسه ذاتًا ولكنه لا تشبه ذوات المخلوقين، فالله هو الكمال الذي لا كمال بعده، يقول الله تعالى نافيًا المشابهة بينه وبين خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

قول الله تعالى في نفسه

وقد كتب الله على نفسه الرحمة، وبه وصف عن نفسه، فقال تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:12]. وفي آية

أخرى قال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:54]. وهذا عيسى عليه السلام يقول لربه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:116]، ويقول الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:41]. ولا تشبه هذه النفس أنفس المخلوقات، فإن لله تعالى نفس تليق بجلاله وكماله.

قول الله عن وجهه

ولله تعالى وجه لا يشبه وجوه المخلوفين، ويبقى وجهه، وهو ذو الجلال والإكرام، يقول الله تعالى:﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:27]، و ذو الجلال والإكرام نعت للوجه[23]، وليس نعتًا للرب من ربك، لذا ذكر الوجه في هذا الموضع مرفوعًا[24]، ومن النصوص التي جاء فيها إثبات الوجه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:88]. وهناك نصوص أخري ورد فيها ذكر الوجه، ولكنها تحتمل معني آخر وهو معنى الرضا، بحيث أن يقصد الإنسان وجه الله أي رضى الله بصالح الأعمال، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:9]. فالطريق الوسط أن نثبت لله ما أثبت لنفسه بدون تشبيه، حتي لا يقع الإنسان في المغالاة والتفريط.

---

[23] انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج23، ص38.

[24] انظر: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (الرياض: مكتبة الرشيد، ط5، 1994م)، ص12.

قول الله في يديه تعالى

أثبت الله تعالى لنفسه يدين تليقان بجلاله وكماله، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:64]. وكذلك سأل زاجرًا إبليس حين رفض السجود لآدم: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:75]. فالطريق الوسط الإيمان به كما وصف بدون تشبيه، وقد ورد تمجيد الله بذكر يديه فأخبر العباد بأن الخير فيهما فأهل الجنة يناديهم ربهم فيقول لهم:«.... وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ» [25]. من النصوص الدالة عليه ما فيه ذكر الأشياء خلقها الرحمن بيده، كخلق آدم بيده، كتابة التوراة والكتاب الموضوع عنده بيده، وغرس جنة عدن بيده، وذكر فيها صفات الأيدي. قول الله في ساقه، فقد أثبت الله تعالى له الساق، كما أثبت لنفسه اليد وغيرها من الصفات، فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:42]، وقد ورد تفسير هذه الآية عن أبي سعيد الخدري، بأن الرب تعالى يكشف يوم القيامة عن ساقه[26]. والطريق الوسط أن نصدق بذلك ولا نكذبه، وهذا لا يستلزم التجسيم ولا التشبيه فليس كمثله شيء. وبهذا يحفظ الإنسان من أن يقع في المغالاة والتفريط.

---

[25] انظر: البخاري في **الجامع الصحيح**، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، ج9، ص151، رقم: 7518.

[26] انظر: أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42]، ج6، ص159، رقم: 4919.

قول الله في استوائه على العرش

نص الله تعالى في سبعة مواضع من كتابه على أنه استوى على العرش الذي هو من أعظم المخلوقات كلها، فقال: و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]، وقد أخبر الله تعالى أن للعرش حملة يستغفرون للمؤمنين، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:7]، وهو فوق الفردوس ومنه تفجر أنهار الجنة[27].

فالتدين الوسط في الإيمان بالله هو أن يؤمن الإنسان بهذه الصفات كما وصف الله تعالى نفسه، ولا يخوض في الكيفية التي هي مجهولة، بسب جهل الإنسان بكيفية الذات، والحكايات مشهورة في معرفة معنى الاستواء، وجهل الكيفية والنهي عن البحث فيها، فقد سئل الإمام مالك عن الآية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة[28]. فالأصل أن الله تقدس اسمه لا مثل له، والإيمان بما ثبت من نعوته كالإيمان بذاته المقدسة أو الصفات تابعة للموصوف فيعقل وجود الباري وتميز ذاته المقدسة عن الأشباه من غير أن تعقل الماهية، فكذلك القول في صفاته، يؤمَن بها، ويعقل وجودها، وتعرف في الجملة من غير تشبيه، أو تكييف، أو تمثيل بصفات خلقه.

هذا هو التدين الوسط في الإيمان بالله تعالى في جميع صفاته ككونه في السماء، ونزوله إلى سماء الدنيا، وكلامه بعض خلقه من النبيين، وحبه المتقين،

---

[27] عبد الرحمن بن ناصر بن براك، **شرح العقيدة الطحاوية**، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، (الرياض: دار التدمرية، ط2، 2008م)، ج1، ص88.

[28] انظر: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، **مختصر العلو للعلي العظيم**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (دمشق: المكتب الإسلامي، ط2، 1991م)، ج1، ص83-287.

والمحسنين، والمتطهرين، والصابرين، والمقسطين، والمتوكلين، وكراهته وبغضه الكافرين الظالمين على وجه يليق بذاته العلية، وفي حياته وقيامه، وفي علمه، وسمعه وبصره، وفي رؤيته في الآخرة، وضحكه،، فهو يضحك متى شاء، كيف شاء، يؤمن بذلك، ويصدق، وليس المطلوب من المكلفين أن يعلموا ذلك أو ينفوا ذلك تنزيهًا كما قال المعتزلة. وله الأسماء الحسنى، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180]، منها ما ذكر في سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:22-24]، فنؤمن بها كما وصف بها نفسه، منزهًا على أن يشبه بشيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.

وهناك ثلاثة أسس دل عليها القرآن العظيم، فمن يهتم في بيان صفاته عليها يحفظ من أن يقع في الغلو وهي:

الأول: تنزيه الله جل وعلا على أن يشبه بشيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كمثله شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، ولقوله تعالى: ﴿وَلم يكن لَهُ كُفوا أحد﴾ [الْإِخْلَاص:4]، ولقوله تعالى: ﴿فَلَا تضربوا لله الْأَمْثَال﴾ [النَّحْل:74].

الثاني: الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله. لقوله تعالى: ﴿ءأنتم أعلم أم الله﴾ [البقرة:14].

الثالث: الإيمان بما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿وَمَا ينْطق عَن الْهوى إِن هُوَ إِلَّا وَحي يُوحى﴾ [النَّجْم:43]. فمن جاء بها كلها فقد وافق الصواب، ومن أخل بأحد منها وقع في المغالاة والتفريط[29].

الإيمان بالملائكة

ومن النواميس العقدية الإيمان بملائكة الله وهو من أصول الاعتقاد، وهم من عوالم الغيب، وقد وصفهم الله تعالى في كتابه، وأصبح الإيمان بالملائكة واضحًا وليس فكرة غامضة، فقال الله في وصفهم، أنهم خلقوا قبل آدم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30]، فأخبرهم الله تعالى أنه سيخلق الإنسان ويجعله في الأرض خليفة. ولهم القدرة التشكل بصور البشر بإذن الله تعالى، كما أخبر أن جبرائيل عليه السلام "الروح" جاء مريم في صورة بشرية، فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:16-17]، ولهم الأجنحة، يتفاوتون في أعدادها، فقال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:1]. يعبدون الله بالإخلاص والطاعة والخضوع المطلق، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:6]، ليسوا آلهة من دون الله تعالى، ولا ذرية لهم، ولا بنات كما قال المشركون، ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ

---

[29] انظر: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**، (الكويت: الدار السلفية، ط4، 1984م) ص10.

بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:26-28]. فهم خلق من مخلوقات الله الكثيرة، منقطعين دائمًا لعبادة الله وطاعة أمره، ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات:164-166]، ولهم علاقة بالكون والإنسان، وقد وكلهم الله بالشمس والقمر، والأفلاك، والجبال، والسحاب، وبكل عبد يحفظونه، وبكل مخلوق، وبكل حوادث الكون وظاهره، وما يلاحظ من قوانين وأسباب يربط بعضها ببعض إنما هي مخلوقات من مخلوقات الله، والملائكة موكلة بها[30].

وهم رسل رب العالمين، يبلغون رسالاته إلى من أمرهم الله ﷻ أن يبلغوها، يقول الله ﷻ ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:192-194]. ويدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر:7-9]، يراقبون أعمال العباد، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * [ق:16-17]، وفي سورة الانفطار يقول الله تعالى:﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ * [الانفطار:11-12]، ويكتبون كل ما يفعل الإنسان، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:80]. ولا يحصي عددهم، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً

[30] انظر: محمد ياسين، **الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه**، (القاهرة: دار عمر الخطاب، د.ط، د.ت)، ص55.

وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 31]. هذا هو الطريق الوسط يصفه القرآن، فيؤمن بهم كما وصفهم الله، ويقر بأعمالهم كما أخبر بها الله تعالى بعيدًا عن المغالاة والتفريط، وعن الوقوع في الخرافات والأوهام، فليس هم بنات الله، فهم عباد الله، ومخلوق من مخلوقات الله الكثيرة.

الإيمان بالكتب

أنزل الله تعالى الكتب لهداية البشرية، وقد نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله تعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، ومن يخالف ذلك فهو من تحريف الإنسان الظلوم، كما فعل بني إسرائيل من تلبيس الحق بالباطل. قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 40-42]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 71]، وكتمان الحق قاصدين بذلك إخضاع كتاب الله لأهوائهم وشهواتهم، ومن تحريفاتهم إخفاء أحكام التوراة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15] ومنها لـــيّ اللِّسان، فهم يلوون ألسنتهم ويعطفونها بالتحريف، ليلبسوا على السامع اللفظ المترل، ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78]. فنزل الله تعالى كتابه الأخير ليكون مهيمنا على هذه الكتب، ومصححا ما وقع فيها من التحريف. فهو كتاب مصدق لما جاء في الكتب السّابقة من توحيد الله، وعبادته، وجمع كل ما كان متفرقًا في تلك الكتب من الحسنات والفضائل. فقد أنزله الله تعالى ليكون مهيمنًا ورقيبًا عليها، يقر ما فيها من حق، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير، وقد تعهد الله بحفظ القرآن من التحريف ومن كل نوع من الضياع على مد الدهور والأزمان، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] صيغة الماضي تعني بأنه محفوظ عند النزول قبله وبعده وقال لا يكون فيه قول بغير الحق: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:41-42].

الإيمان بالرسل

بعث الله تعالى في كل أمة رسلًا منهم، يعرفون نسبهم وأخلاقهم، واصطفاهم من أوسطهم مكانة ونسبًا، ليخبرهم بأحكام الله ويطهرهم، ويعلمهم من شرائع دينه بالحكمة، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة : 2]، فأوفوا ما أمروا من الدعوة إلى عبادة الله وحده، وإفراده بالطاعة، والإخلاص له في العبادة والإبعاد من الشيطان، وحذروهم بمكائده من أن يغويهم، ويصدهم عن سبيل الله، فمن الناس من وفَّقه الله تعالى، فصدق رسله، وقبل دعوتهم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته، فاز وأفلح، ونجا من عذاب الله، ومنهم من حقَّت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل :36]، فما من أمة إلا خلا فيها نذير،

وذلك رحمة من الله بعباده، لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء :163-165]، فبين الله تعالى أنه أرسل رسله على عباده مبشرين ومنذرين، وهذا من أعظم نعم الله تعالى على عباده.

واختلفت مواقف الأمم تجاه أنبيائهم، فمنهم من آمن بهم واتبعهم، فقالوا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : 136] ومنهم من كفر بهم، وفرق بين الله ورسله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 150]، وآخر غالى فيهم، ورفعهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله تعالى، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة : 72]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة : 73]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة : 30].

وقد رسم القرآن الكريم التدين الوسط في الإيمان بالرسل وبينه بعمل المؤمنين، وهو تصديقهم بما جاءوا به من عند الله، وعدم التفريق بين أحد منهم، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة : 285]، يؤمن أنهم صفوة الله من خلقه، وأفضلهم وأطهرهم، وأزكاهم، ولكن ليسوا

آلهة، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : 33]، وقال تعالى عن رسله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص:47]، وقال ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج : 75]، فهم قدوة وأسوة للأمة في أفعالهم، وأعمالهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام :89-88]. فلا المغالاة فيهم ولا التفريط في مدحهم بالباطل، فالمطلوب فيهم أن نقدرهم حق قدرهم، ونعظمهم حق تعظيمهم، وعدم التفريط في مدحهم، وعدم المبالغة في إطرائهم، والثناء عليهم، ولا يجاوَز الحد في ذلك، ولا يتزل فوق المتزلة التي أنزلهم الله إياها وهي متزلة الرسالة والنبوة ومقام العبودية لله، وبها خاطبهم الله تعالى وذكرهم في كتابه العزيز.

فقال عن نوح عليه السلام:﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء : 3]، وقال عن داوود عليه السلام: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]، وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص : 30]، وقال عن أيوب عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص : 41] وقال عن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص : 45]، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء : 172]، وقال عن خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء :1]. فهم بشر يأكلون، ويمشون، ويتزوجون، ولهم البنون والحفدة فليسوا

بآلهة، ولا أبناء الله كما يدعي اليهود، وبه أخبر الله تعالى عباده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف :110]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:38]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان :20]. فهذا هو التدين الوسط كما جاء في القرآن لا مغالاة ولا تفريط، فهم عباد الله يعبدون الله، ورسل لا يكذبون، بل يطاعون ويتبعون.

الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور

أخبر الله تعالى بوقوع اليوم الآخر والبعث والنشور، وذم الذين كفروا به، وهددهم وتوعدهم، والقرآن يدل عليه من فاتحته إلى خاتمة، ذكر فيه أحوال اليوم الآخر، والبعث والنشور، وقرر ذلك بالأمثال والأخبار، ورد على منكريه وبين كذبهم وافتراءهم. وقد جاءت الأدلة في وقوعه بأساليب متعددة ومتنوعة، ومن هذه الأدلة إخبار الله تعالى بوقوعه، فيخبر الله تعالى به أحيانًا قطعًا ويؤكد بـــ"أن" أو بـــ"أن واللام" كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه :15]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر :85]، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[الأنعام : 134]، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات :7]. وأحيانًا يخبر بذكر أحوال ذاك اليوم، كقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء : 103]، وأحيانًا يبشر المؤمنين به بالهداية والفلاح، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة : 4]، وأحيانًا يخبر به فكأنه سئل: متى تكن الساعة؟ فأخبر: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي

الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة :13-16]، وقد سماها الله تعالى بأسماء مختلفة كما تنوع في إخباره فمنها: ﴿الْآخِرَةِ﴾ [البقرة:4]، ﴿الْحَاقَّةِ﴾ [الحاقة:1]، ﴿السَّاعَةِ﴾ [الأحزاب:63]، ﴿الصَّاخَّةُ﴾ [عبس:33]، ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: 34]، ﴿الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية : 1]، ﴿الْقَارِعَةِ﴾ [القارعة: 1]، ﴿مَعَادٍ﴾ [القصص: 85]، ﴿الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة : 1]، ﴿يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم : 56]، ﴿يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن : 9]، ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: 15]، ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ [الشورى: 7]، ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ [مريم : 39]، ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة : 4]، ﴿يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [الصافات : 21]، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة : 113]، ﴿ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق : 20].

فيقع الإنسان في المغالاة هنا بإنكار الصفات التي أثبتها القرآن من مثل الأكل والشرب والنكاح في الآخرة، ومن الغالين، الذين يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة ولكنهم يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون هذه أمثال ضربت لفهم المعاد الروحاني[31]. فالقرآن يتحدث عن اليوم الآخر والبعث بطريق وسط، يستدل عليه بالنشأة الأولى، فالإنسان يشاهد كل يوم حياة جديدة، فالأطفال والطيور والحيوانات تلدها أمهاتها، فيرى الإنسان كل هذا بأم عينيه، فالذي هو قادر على خلقها فهو قادر على إعادة خلقهم، يقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم : 66 - 67]، وفي موضع آخر يستدل بالخلق الأول على يوم الآخر والبعث، فيذكر مراحل التخليق، وخلق آدم من تراب، فالقادر على جعل التراب بشرًا قادر أن يعيده بشرًا بعد موته، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ

[31] انظر: عمر الأشقر، **اليوم الآخر القيامة الكبرى**، (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ط4، 1990م)، ص72.

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج : 5 -7]، وإعادة الشيء أمر يسير بنسبة إلى الخلق من جديد. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت:19].

وكذلك يستدل على البعث بقدرته بحيث يفهم الرجل العامي بدون بذل جهد، فيقول الذي يقدر على خلق الأعظم يقدر على خلق ما دونه، فليس من المعقول أن ينسب العجز عن حمل الشيء الحقير إلى من يستطيع حمل العظيم، ويقدر على أن يحول الخلق من حال إلى حال، وقد جمع الله تعالى هذه الحجج والبراهين في موضع واحد في قلب القرآن فقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس : 78-83]، يقول ابن أبي العز، شارح العقيدة الطحاوية في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس:81]، في هذه الآية إخبار بأن "الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما،

وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميما"[32].

ويقول ابن تيمية: "من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم والقدرة عليه أبلغ – وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك"[33]. فالقرآن لا يستدل بالفلسفة في إثبات اليوم الآخر والبعث، وإنما يخاطب العقل السليم، والفطرة السليمة، فيصف أهوال يوم القيامة، ويصور معالم أهوالها، ويذكر قبض الأرض وطي السماء، ودك الأرض ونسف الجبال، وتفجير البحار، وتسجيرها، وموران السماء وانفطارها، وتكوير الشمس، وخسوف القمر، وتناثر النجوم، فالطريق الوسط هو أن يؤمن به كما وصف الله تعالى، فلا ينكر بشيء منها ولا يتعطل.

الإيمان بالقدر

القدر هو نظام التوحيد وقدرة الله التي قدرها للخلق[34] فهذا هو باب من أعوص أبواب العقيدة، فالذي زل عن الطريق الوسط حار وحير، تعب وأتعب، فما وصل إلى اليقين والصواب. فقد تعرض كتاب الله لمسالة القدر تعرضا تلمح فيه الوسطية، ومن اتبعه سلم من المغالاة والتفريط. فالقرآن يقسم هذا الباب إلى فصلين، فصل يستطيع عقل الإنسان أن يجول فيه، وفصل نهى الله عن الخوض فيه، فيسمح

---

[32] صدر الدين محمد بن علاء الدين ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط10،1997م)، ج2، 595.

[33] انظر: تقي الدين أحمد الحراني ابن تيمية، **مجموع الفتاوي**، الاعتناء والتخريج: عامر الجزار وأنور الباز، (المنصورة: دار الوفاء، ط3، 2005م)، ج3، 299.

[34] انظر: أبو بكر جعفر بن محمد الفِرْيابِي، **كتاب القدر**، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، (الرياض: أضواء السلف، ط1، 1997م) ج1، ص144.

للإنسان أن يبحث عن مراتب القدر وأقسام القضاء وخلق أفعال العباد، ونهي عن الخوض في القدر بالباطل وبلا علم ودليل، والمعتمد فيه هو كتاب الله وسنة رسوله، إذ العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك على وجه التفصيل. فالذي اتبع هواه أو نظر إلى النصوص بعين عوراء فقد وقع في المغالاة والتفريط، كالفلاسفة الذين أنكرو علم الله تعالى بالجزئيات، وكالذين يعتقدون تأثير الكواكب والأسماء والأبراج، وكغلاة الصوفية، الذين غلو في الجبر، وكالجبرية الذين غلو في إثبات القدر حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل، وكالقدرية الذين أنكرو مشيئة الله في أفعال العباد[35]، فاستدلوا استدلالًا أعور ببعض الآيات، وأولو ما عدا ذلك مما يخالفهم. وقد يصف القرآن التدين الوسط في الإيمان بالقدر والقضاء، ومن الاستقراء يتبين أن للقدر والقضاء أربعة مراتب:

الأولى: علم الله تعالى

وهو أن الله عالم بكل شيء جملةً وتفصيلًا، أزلًا، وأبدًا، ولا فرق فيما يتعلق به هذا العلم، فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ : 3]، فقد علم الله جميع خلقه، وما يتعلق بهم، والأدلة على هذه المرتبة كثير، يقول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة :255]، فعلمه محيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علمًا، لا يخفى عليه شيء منه. ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي

---

[35] انظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق: أحمد فهمي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط8، 2009م)، ج1، 56-59، 97، ج2، 609-610.

صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 29]، فهو يعلم السرّ والعلانية.

الثانية: الكتابة

فقد كتب الله تعالى من مقادير الخلائق بما سبق من علمه، وذلك في أم الكتاب. فكل ما هو كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، والأدلة كثيرة، يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:154]، يصف الله تعالى المنافقين الذين لو لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم، و لم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين، والذين قالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾، فيقول الله تعالى للنبي ﷺ أن يقول لهم: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾، فهو قدر مقدر من الله عز وجل، وحكم حتم لا يحاد عنه، ولا مناص منه. وفي سورة التوبة يقول الله تعالى لنبيّه محمدًا صلى الله عليه وسلم: أن يقول المنافقين الذين تخلفوا عن القتال لن يصيبكم شيء إلا ما كتب الله لكم، في اللوح المحفوظ، وقضاه عليكم، فقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة : 51]، فكل شيء هو مكتوب عند الله، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود : 6]، ثابت عند الله في أم الكتاب، ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد :39]، فكل شيء هالك، وهو قضاء مالا بد منه، مكتوب في الكتاب الذي كتب فيه كلّ ما هو كائن. ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ

مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء :58].

الثالثة: المشيئة

هذه هي المرتبة الثالثة، مشيئة الله النافذة والشاملة، فما شاء كان و لم يشأ لم يكن، فما وقع في الوجود من عمل فإنما وقع بمشيئة الله، وما لم يقع إنما لم يقع لأن الله عز وجل لم يشأ وقوعه ولو شاء وقوعه لوقع، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان:30]، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر:56]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة:13]، ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف:155]، والأدلة كثيرة وفي القرآن وحده وردت كلمة "شاء" أكثر من مائة مرة، فكل صلاح وخير وطاعة وإيمان وقعت في هذه الحياة إنما وقعت بمشيئته جل وعلا فقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ [يونس:16]. وكل فساد وانحراف ومعصية وكفر وقع في هذه الحياة إنما وقع بمشيئة الله عز وجل ولو شاء لم يقع قال تعالى:﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة: 253]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:112]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:149]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة:13].

الرابعة: الخلق

هذه هي المرتبة الأخيرة، وهي الإيمان بالله بأنه خالق كل شيء، ومن ذلك العباد وأفعالهم فكل شيء له وجود لا يخرج عن ملكه وخلقه، فهو خالق كل عامل وعمله وكل صانع وصنعته، وما من حركة ولا سكون في هذا الكون إلا وهو خالقه، قال عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:62]. والأدلة على هذه المرتبة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء :1]، يصف الله تعالى هنا في

هذه الآية المباركة، بأنه هو المتوحِّد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، ثم يعرف خلقه كيف كان مبتدأ إنشائه من النفس الواحدة، وفي سورة الأنعام يخبر جميع العباد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام : 2]، أي هو الله الذي خلقهم من طين. ثم في سورة الحج يصف بالتفصيل الدقيق أطوار خلق الإنسان، في قوله:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:5] وأما خلق أفعال العباد فيدل على ذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات : 96]، وهي داخلة كذلك في عموم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر : 62]، وهي من الله إيجادًا وتقديرًا، ومن العباد فعلًا وكسبًا[36]. والتدين الوسط في هذا هو الإيمان بأن الله خالق كل شيء، وهو ربه ومليكه، وهو يشمل جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، فلا ينكر علمه المتقدم وكتابته السابقة كإنكار غلاة القدرية[37]، ولا يقال أنه تعالى أمر ونهي، وهو لا

---

[36] انظر: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير اليمني ، **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، (الرياض: أضواء السلف، ط1، 1999م)

[37] انظر: تقي الدين أحمد الحراني ابن تيمية، **مجموع الفتاوي**، الاعتناء والتخريج: عامر الجزار وأنور الباز، (المنصورة: دار الوفاء، ط3، 2005م)، ج8، ص450.

يعلم من يطيعه ممن يعصيه والأمر أُنُف أي مستأنف، بل يقال لا يكون في الدنيا، ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه، وقضائه، وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ[38].

القواعد العملية

تندرج تحتها بما يصدر عن المكلف من أفعال، والمراد منها القواعد المرتبطة بتصرفات الإنسان والمنظمة لها والمبينة لأحكامها المشروعة. وقد جاء القرآن الكريم بأحكام لأفعال العباد، وسميت بالأحكام الشرعية العملية التي هي ضرورية للبشرية؛ لتنظيم علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقته بغيره، وبنفسه، وعلاقته بكافة مجالات الحياة، وأي تفريط في هذه العلاقات تنعكس سلباً على الأفراد والجماعات [39]. وقد قرر الله تعالى المنهج الوسط لها في آيات كثيرة، منها الآيات التي أمر الله تعالى فيها بالتوسط، والاقتصاد في العمل، ومنها الآيات التي تصف الانحراف الذي قام به بعض الناس، وصرفوا هذه الأحكام عن وجهها الصحيح، ومنها الآيات التي ذكر فيها بعض أنواع العبادة، ثم أمر الله تعالى بالتزام المنهج الوسط، ونهى عن الإضاعة والرهبنة.

الآيات التي أمر الله تعالى فيها بالتوسط، والاقتصاد في العمل

يقول الله تعالى:﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء :110]. فهذه الآية المباركة تدل دلالة واضحة على أمر التدين الوسط في الدين، حيث أمر الله تعالى بابتغاء الطريق الوسط بين أمرين منهي عنهما وهما الجهر الشديد والمخافتة والإسرار، وليس الأمر مختصاً بالقراءة بل هو لكل أعمال الصلاة[40].

---

[38] انظر: أبو حنيفة النعمان بن ثابت، **الفقه الأكبر**، (الإمارات العربية: مكتبة الفرقان، ط1، 1999م) ص29.

[39] انظر: مصطفى الزلمي، **حكم أحكام القرآن في العبادات، وأحكام الأسرة، والمعاملات المالية**، ص23

[40] محمد متولي الشعراوي، **الخواطر**، (مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ط.، 1997م)، ج14، ص8815

وفي نفس السورة يعلِّم الله تعالى الإنسان سبيل إنفاق المال فقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء:26-29]، والتبذير هو بسط اليد على حسب الهوى جزافاً[41]، بحيث يتجاوز حد التوسط، ثم نبه الله تعالى على قبح هذا الفعل بإضافته إلى أفعال الشياطين، ثم أمره أخيرًا بالتوسط والاعتدال، فلا تُمْسك اليد عن الإنفاق، كالمغلولة الممنوعة من الانبساط، ولا تُتوسَّع في الإنفاق توسُّعاً مفرطاً بحيث يخرج عن الطريق الوسط ويقع في المغالاة والتفريط، وبهذا التوسط وصف عباده المؤمنين ومدحهم، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:67].

الآيات التي تصف الانحراف في الأحكام

وهذا أسلوب آخر للقرآن لبيان التدين الوسط، فيذكر الله تعالى المنحرين الذين صرفوا العبادة عن وجهها الصحيح، واتبعوا الأهواء، فينكر الله تعالى أعمالهم، والقرآن مملوء بهذه الآيات منها قوله تعالى:﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:18]. فيصف الله المنحرفين الذين يعبدون آلهة من دون الله لا تضر ولا تنفع، لا في الدنيا ولا في الآخرة، يقول الله تعالى، لنبيه محمد صلى الله عليه وآله أن يسألهم هل هم يخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟ وهو رد لإبطال زعمهم: "هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا"، والتدين الوسط عبادة الله تعالى وحده وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ

---

[41] انظر: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط.، د.ت.)، ج11، ص405.

النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج:11].

وليس التدين الصحيح أن يُعبد الله تعالى كما كان يعبده بعض الأعراب على شك، وقد عده الله تعالى "الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ". وفي سورة الزمر يصف الله تعالى الذين خرجوا عن التدين الوسط وعبدوا أولياءهم على شبهة التقرب فقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:3]، أي التدين الوسط هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، خالصة لا شرك لأحد معه فيها، يحكم بينه وبين خصومه، فيما اختلف فيه من التوحيد والشرك، الذي هو التدين الوسط، ويجازي كل واحد بعمله، فلا ينبغي ذلك لأحد.

الآيات التي أمر الله تعالى فيها بالتزام منهج الوسط، ونهى عن التفريط والإفراط والرهبنة

الآيات التي ذكر فيها بعض أنواع العبادة، وأمر فيها بالتزام التدين الوسط، ونُهي عن الرهبنة التي تمثل المغالاة والتفريط كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:29]، ففي هذه الآية إخبار بأن الله يأمر بالقسط الذي هو العدل في جميع الطاعات، وهو مروي عن ابن عباس و السدي، ومجاهد، وقتادة[42] وقد ذكر أن الوسط هو العدل.

---

[42] انظر: أبو محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419ه)، ج5، ص1462.

وفي سورة يونس يقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:104]، أي فإن شك أحد من الناس فيما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فليعلم أن الله تعالى نهى عن عبادة الآلهة والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن شيء، وأمر بالتدين الوسط وهو أن يعبد الله تعالى مصدقًا بما جاء من عند الله تعالى. أما النهي عن الرهبنة فيقول الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:27]، النهي عن الرهبانية نهي عن المغالاة والمبالغة في العبادة، لأنّ في ذلك خروج عن التدين الوسط ولذلك عجزوا على المحافظة عليها، فما قاموا بما التزموه حق القيام لمشقتها وصعوبتها. وبشر الله تعالى لمن يتدين بالتدين الوسط متذلل لوجهه بالعبودية، مقرّا له بالألوهة كما أمر، وأطاعه في أمره ونهيه، فقد تمسك بما رضيه له الله، وقد أسلم وجهه إليه وهو محسن، فلا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة[43]؛ كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:22].

الخاتمة

التدين فطري في الإنسان، واتفق علماء المقارنة بين الأديان على اختلاف مللهم على ترسخ العقيدة الدينية في طبائع بني الإنسان، وإن اختلفوا في الباعث لهذه العقيدة. وقد حدد الله ﷻ طريقة العبادة، وكيفية أدائها، ومنهج سلوكها. فمن يخرج عنها فقد انحرف عن الدين، سواء كان الخروج زيادة أو نقصًا، فهو مغالاة، وحياد عن جادة الصواب وإن يحسبها الناس من الدين، على أنه تضحيات، أو طاعات، وفي الحقيقة ما هو إلا إساءة إلى الدين وأهله، ونبذ لتعاليم الدين، وهو مركب الغلو،

[43] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج20، ص413.

والتطرف، والإفراط، وكذلك أحيانًا هو تشويه، وتحريف، وتلبيس، وهذا يسمى غلو التفريط والتضليل. والطريق الأوسط في التدين اتباع الكتاب والسنة وما ورد فيهما بدون تأويل، واتباع الصحيح من الأقوال المستندة إلى كتاب الله والسنة الصحيحة، واتباع الدليل الذي وضح استنباطه، وتبادر إلى الذهن فهمه، دون التواء، أو تمحل في فهم النص، أو اتباع الشواذ من الأقوال، وغرائب الأحكام. فالتدين الوسط في الدين كما يتضح من هذا العرض هو الإيمان بالنواميس العقدية كما جاء ذكرها في القرآن، ووصف بها جل وعلا، وفي الأحكام العملية أن تكون أفعال العباد خالصة لله وحد لا شريك له، وأن يعبد الله بطريق شرعه الله في القرآن والسنة، ولا يعبد عبادة مبتدعة، وهذا هو الطريق الذي سماه الله بالصراط المستقيم، الطريق الموصل للغاية، والطريق الوسط.